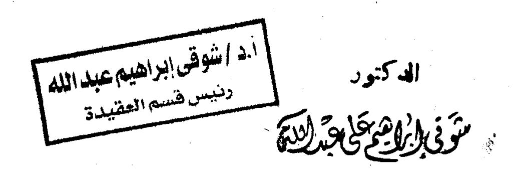


مناهج الاستدلال في القرآن الكريم

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ — ١٩٩٢ م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

عميد الكلية

أ.د / شوقي إبراهيم على عبد الله

دار الطباعة المحمدية

٣ درب الأتراك بالأزهر / القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين وبعد فمن المعلوم أن القرآن نزل بلسان عربي مبين ليبلغ ما يحمل من مضامين دعوته إلى الناس كافة .

وهذا يقتضى مراعاته لتباين مدارك الناس وتفاوت فطرهم واختلافهم فى طرق الاقناع والأساليب المؤثرة عليهم والقرآن يستخدم البراهين والحجج فى معالجة الأمور الإعتقادية ويصور المواقف الحية المثالية فى جانب الحق وما أحوج الإنسانية إلى ومضة من منطق القرآن وهذه الدراسة جاءت تبرز مناهج الاستدلال فى القرآن الكريم التى تراعى ظروف الناس وأحوالهم وكما قال الغزالى إن أدلة القرآن مثل الغذاء ينتفع به كل إنسان وأدلة المتكلمين مثل الدواء ينتفع به آحاد الناس ويستضر به الأكثرون[1] .

والناس أصناف ثلاثة :

(أ) صنف سهل المراس سهل القبول والاقتناع يفكر تفكيرا أقرب إلى الفطرة [فيه سلامتها وفيه سذاجتها وفيه اخلاصها وبراءتها][2].

---

(١) نقلا عن الشيخ محمد أبو زهرة المعجزة الكبرى ٣٥٠

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٥

ولقلة زاده العلمى والثقافى فهو بعيد كل البعد عن كل تشعب فكرى وتعقد منهجى وعليه فليس من الحكمة أن يخاطب بتفكير فلسفى ولا بأسلوب علمى جاف وإنما يخاطب بأسلوب سلس يغذى الفطرة ويشد الوجدان ويأخذ الألباب بأسلوب [التقت فيه سياسة البيان وبلاغته بقوة الحق](1) .

وهذا الصنف يعتبره ابن رشد [ليس هو من أهل التأويل أصلا](2).

ويمثل الأغلبية فهو الجمهور الأعظم من الناس وهم الخطابيون الذين يتأثرون بالأسلوب الخطابى .

(ب) صنف ثان وهو من غلب عليه مذهب دينى [فتعصب له والتعصب يعمى ويصم ويجعل النفس ملتوية ومتشعبة لا تستسيغ الحق إلا بعد جهد وبعد علاج عسير ولا يمكن إزالة ما عنده من ملابسات والتواءات إلا باستخدام جدل قوى فيه الدليل القاطع والحجة الصادقة بحيث يعرف كيف يلزمه بما عنده ويتقن اقناعه بما بين يديه ويحسن اتخاذ ما يرفض وسيلة لإفحامه وهذا الصنف يعتبره ابن رشد [من أهل التأويل الجدلى وهم الجدليون بالطبع فقط أو بالطبع والعادة](3) .

(ج) وصنف ثالث لا يرضيه إلا قياس تام ولا يصدق إلا بالبرهان وهم النخبة أو الراسخون فى العلم أو من [غلبت عليهم الدراسات العقلية والنزعات الفلسفية(4) .

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة المعجزة الكبرى ٣٣٥

(٢) ابن رشد فصل المقال ص ٥٢

(٣) السابق ٥٢

(٤) الشيخ أبو زهرة المعجزة الكبرى ص ٣٣٤ وتاريخ الجدل ص ٥٩ للمؤلف نفسه

وهذا الصنف يعتبره ابن رشد من أهل التأويل اليقيني وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والصناعة صناعة الحكمة[1] .

وابن رشد حين يقيم هذا التقسيم الثلاثي لفطر الناس يعتمد على ما جاء في الآية القرآنية [أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن][2].

إذ أن القرآن جاء ليرضي الفئات الثلاثة)[3].

لكن ابن القيم لا يوافق ابن رشد فيما ذهب إليه ويقول إن الله جعل مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق : فالمستجيب الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه يدعى بطريق الحكمة.

والقابل الذي عنده نوع من غفلة وتأخر[4].

يدعى بالموعظة الحسنة وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب والمعاند الجاحد يجادل بالتي هي أحسن لا كما يزعم أسير منطق اليونان أن الحكمة[5] .

قياس البرهان وهي دعوة الخواص .

---

(١) ابن رشد فصل المقال ص ١٨ ــ ١٩

(٢) النحل ١٢٥

(٣) ابن رشد فصل المقال جـ١٨ ــ ١٩

(٤) واضح أن ابن القيم يقصد بهذا الساذج الذي على الفطرة وسلامتها .

(٥) الحكمة حسب ابن القيم : هي وضع الشيء في موضعه اللائق به ويعتبر أن الحكمة قد أعطيت النبي ﷺ وقد كان يضع السيف في موضعه والموعظة في موضعها والمجادلة بالتي هي أحسن في موضعها .

والموعظة الحسنة قياس الخطابة وهى دعوة العوام والمجادلة بالتى هى أحسن : القياس الجدلى وهو رد شغب المشاغب بقياس جدلى مسلم به وهذا باطل وهو مناف لأصول المسلمين وقواعد الدين [١] .

وظاهر أن اعتراض ابن القيم وجيه بالاضافة إلى تحميل العبارات مالم تتحمل وذلك لأن قياس الخطابة فى المنطق هو الذى لاتعتمد مقدماته على أساس منطقى بل عــلى أساس عاطفى وأن قياس الجدل مقدماته ظنية [٢] .

وهذا يعنى أن القرآن لم يخاطب إلا القلة القليلة بالقياس البرهانى وأنه خاطب الأغلبية بقياس خطابى .

وهذا عاطفى لااحتجاج فيه بدليل قول ابن القيم فى مفتاح دار السعادة ويظن جهال المنطقيين وفروخ اليونان أن الشريعة خطاب للجمهور ولا احتجاج فيها وأن الانبياء دعوا الجمهور بطريق الخطابة والحجج للخواص وهم أهل البرهان يعنون أنفسهم ومن سلك طريقهم وكل هذا من جهلهم بالقرآن فإن القرآن مملوء من الحجج والأدلة والبراهين فى مسائل التوحيد وإثبات الصانع والمعاد [٣] .

والشيخ محمد أبو زهرة تعرض لهذه المسألة ورد على ابن رشد فيما يتعلق بالأسلوب الخطابى والجدلى وكونهما يعتمدان على مقدمات ظنية .

أولا : يجب التفريق بين الحقيقة المراد تبليغها وبين الشكل الذى تعرض فيه الحقيقة فالحقائق قد تجىء على ألسنة المتكلمين فى أسلوب

---

(١) ابن القيم : التفسير القيم ٣٤٤

(٢) فصل المقال ٢٩ لابن رشد

(٣) ابن القيم الجوزية : مفتاح دار السعادة جـ ١ صـ ٢٢٠

خطابى وكونها فى أسلوب خطابى لاينتقص من قيمتها من كونها حقيقة [فالشكل البرهانى لايمنحها يقينا كما أن عدم التمسك به لاينقض يقينها [١].

ثانيا : كما أنه لاينطبق مايقال فى الخطابة والجدل من أنهما يقومان على الأدلة الظنية على القرآن إذ أن القرآن كما قال ابن القيم فلا يذكر المتكلمون وغيرهم دليلا صحيحا على ذلك إلا وهو فى القرآن بأفصح عبارة وأوضح بيان وأتم معنى [٢] :

وتجد البشرية فى القرآن الكريم أوجه الاعجاز المختلفة البيانية والتشريعية والخلقية والإنسانية .

وفى عصر العلم وجد العلماء فى آياته الشريفة معجزة علمية ضخمة تكفى لأن ينتشر الإسلام بها فى أوساط العلم والعلماء وفى كل مكان لايعرف أهله لغة القرآن وقد شاء الله سبحانه وتعالى وأمدنى بفيض منه فأخرجت هذا البحث الذى تضمن مناهج الاستدلال فى القرآن الكريم وهى مجموعة الأدلة والبراهين التى استخرجها المفكرون المسلمون من القرآن الكريم واستخراج مافى طيات القرآن الكريم من وجوه الاستدلال وتحديد ملامح ماعرض فيه من أدلة ومحاولة تحليل مالها من منابع وتمييز مالها من خاصيات هو عمل يندرج ضمن محاولة تبيان وجه من وجوه القرآن الاعجازية وهو مايعرف — حسب عبارة القاضى عياض [بالتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الأمم ببراهين قوية وأدلة بينه سهلة

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة المعجزة الكبرى ٣٣٣

(٢) ابن القيم : مفتاح دار السعادة جـ ١ ص ٢٢٠

الألفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون — بعد — أن ينصبوا أدلة مثلها فلم يقدروا عليها وهو وجه يؤكد — ولاشك — أن القرآن كان ويكون دوما فى مستوى تحديه وجاء هذا البحث على مقدمة وتمهيد ومباحث وخاتمة .

أسأل الله أكون وفقت فيما أردت وحسبى أنى قصدت الخير وماتوفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ؟

د/ شوقى إبراهيم على عبد الله

٢٨ يناير ١٩٩٢ م

٢٣ رجب ١٤١٢ هـ

تمهيد في مفهوم :

مناهج الاستدلال في القرآن الكريم

المناهج : جمع منهج أو منهاج وهو لغة الطريق الواضح ومنه نهج الطريق بمعنى أبانه وأوضحه وسلكه[1] .

ومنه قول الله تعالى : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً »[2] .

وأما في الاصطلاح : فقد عرفه بعض الباحثين بأنه «الطريق المؤدى إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة[3]» .

ويمكن أن يعرف أيضاً بأنه [فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة أما من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة لدينا ومن أجل البرهنة على حقيقة] لا يعرفها الآخرين » .

ومن ملاحظة التعريف الأخير نجد أن هناك اتجاهين للمناهج من حيث الهدف أحدهما يكشف عن الحقيقة ويسمى منهج الاختراع .

والثاني يبرهن أو يعدل عن مفاهيم سائدة ويسمى منهج التصنيف[4].

---

(١) محمد أبي بكر مختار الصحاح ص ٦٨٢ ط دمشق ١٩٨٣ نقلا عن : د / سعد الدين السيد . البحث العلمى ومناهجه ص ٨

(٢) سورة المائده آية ٤٨

(٣) د / عبد الرحمن بدوى ، مناهج البحث العلمى ص ٥

(٤) د / محمد زيان عمر ، البحث العلمى مناهجه وتقنياته ص ٤٨ ط دار الشروق جدة ١٩٨٣ م

معنى الدليل :

الدليل فى اللغة المرشد للطريق وفى الاصطلاح هو الذى يلزم من العلم به العلم بشىء آخر [١] وقال أبو هلال العسكرى : الدليل فاعل الدلالة ولهذا يقال لمن يتقدم القوم فى الطريق دليل إذا كان يفعل من التقدم مايستدلون به [٢] .

الدلالة : هى كون الشىء بحالة يلزم من العلم به العلم بشىء آخر .

والشىء الأول هو الدال والشىء الثانى هو المدلول [٣] :

معنى الاستدلال :

الإستدلال هــو إيراد الدليل لدعم القضية سواء أكان بطلب من المخالف أم استطراد من المستدل [٤] .

والفرق بين الدلالة والاستدلال أن الدلالة مايمكن الاستدلال به والاستدلال فعل المستدل [٥] .

ثم أعلم أن الدليل يأخذ طابع الالزام إذا سلم تركيبه من التناقض والاختلاف واستعمل فى مورده .

---

(١) التعريفات للجرجانى ص ٩٣
(٢) الفروق اللغوية أبو هلال العسكرى ص ٤٢
(٣) التعريفات للجرجانى ص ٩٣
(٤) مناهج الجدل فى القرآن د/ زاهر عوض ص ٧٤
(٥) أبو هلال العسكرى الفروق اللغوية ص ٥٢

ومن الجدير بالذكر أن أدلة القرآن جميعها أدلة إلزامية لخلوها من التناقض والاختلاف من جهة ولثبوت الاعجاز لها من جهة أخرى .

ومعنى هذا أن جميع أدلة القرآن قطعية فى ثبوتها وأما كونها قطعية فى دلالتها فإن ذلك من موضوعات علم الاصول ويمكن تقسيم أدلة القرآن من حيث دلالتها إلى أدلة عقائد وأدلة أحكام :

فأدلة العقائد يرد بها على الخصوم ويقرر بها القواعد الاعتقادية كالتوحيد والغالب أن تكون هذه الأدلة قطعية فى دلالتها لأنها تقيم الحجج والبراهين على قضايا معينة .

أما أدلة الأحكام فانها تختلف دلالتها حسب نوع الدليل من حيث كونه نصا أو ظاهراً أو مؤولا .. الخ فتكون قطعية إذا كانت نصا فى الموضوع أو ظنية إذا إحتمل الدليل عدة أوجه أو كان بطريق الاستنباط .. إلخ

والدلالة الظنية فى أدلة القرآن أمر نسبى لا يرجع فيه الظن إلى مادة الدليل لأن مادة الدليل فى القرآن صحيحة ولكن الظن يرجع إلى استخدام المستدل لهذه المادة وعدم قدرته على القطع بأنها تدل على كذا أو كذا من الأحكام وجملة القول أن جميع أدلة القرآن قطعية فى ثبوتها وهذا شىء لا يقبل النقاش والجدل لأنه معلوم من الدين بالضرورة[1] .

الإستدلال القرآنى والجدل

نزل القرآن الكريم على قلب رسول الله بلسان عربى مبين والجدل فى اللغة فيه معنى المغالبة والإلزام .

والاستدلال القرآنى يراد منه إظهار الحق ودفع الباطل وهذا أمر

---

(١) مناهج الجدل فى القرآن د/ زاهر عواض ص٧٥

يتم بالحوار والالزام عن طريق الاقناع بالحجة والبرهان فى الاستدلال القرآنى قائم على الجدل بالتى هى احسن بالجدل لما فيه من معنى مغالبة الخصم بالحجة والبرهان .

والجدل القرآنى يستهدف تقرير الحق وازهاق الباطل وإنما يتضح ذلك تماما إذا قسمنا الأدلة القرآنية إلى قسمين كما أشار إلى ذلك الامام الشاطبى فى موافقاته حيث يقول :

إن الأدلة الشرعية ضربان :

١ — أحدهما أن يكون على طريقة البرهان العقلى فيستدل به على المطلوب الذى جعل دليلا عليه وكأنه تعليم للأمة كيف يستدلون على المخالفين وهو فى أول الأمر موضوع لذلك ويدخل هنا جميع البراهين العقليـــة وما جرى مجراها كقوله تعالى : (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)[1] (لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين)[2]

(وهذا الضرب يستدل به على الموافق والمخالف لأنه معلوم عند من له عقل فلا يقتصر به على الموافق فى النحلة)

٢ — الثانى : مبنى على الموافقة فى النحلة وذلك مثل الأدلة الدالة على الاحكام التكليفية كدلالة الأوامر والنواهى على الطلب من المكلف ودلالة (كتب عليكم القصاص فى القتلى) (كتب عليكم الصيام) (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم)[3]

فإن هذه النصوص وأمثالها لم توضع وضع البراهين ولا أتى بها فى محل الاستدلال بل جىء بها قضايا يعمل بمقتضاها مسلمة متلقاة بالقبول

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ٢٢

(٢) سورة النحل آية رقم ١٠٣

(٣) سورة البقرة آيات ١٧٨ — ١٨٣ — ١٨٧

وإنما برهانها فى الحقيقة المعجزة الدالة على صدق الرسول ﷺ الآتى بها وإذا ثبت برهان المعجزة ثبت الصدق وإذ اثبت الصدق ثبت التكليف على المكلف فالعالم إذا استدل بالضرب الأول أخذ الدليل انشائيا كأنه هو واضعه وإذا استدل بالضرب الثانى أخذه معنى مسلماً لفهم مقتضاه الزاما والتزاما فإذا اطلق لفظ الدليل على الضربين فهو نوع من اشتراك اللفظ لأن الدليل بالمعنى الأول خلافه بالمعنى الثانى فهو بالمعنى الاول جار على الاصطلاح المشهور عند العلماء وبالمعنى الثانى نتيجة أنتجتها المعجزة فصارت قولا مقبولا فقط)[١] اهـ

والضرب الاول من الضربين الذين ذكرهما الشاطبى آنفا هو الذى تتكلم عنه من أدلة القرآن لانه مشتمل على الجدل بالاخذ والرد والنقض والابطال والمعارضة ويمثل الصراع الفكرى بين الحق والباطل فيحاج العقل البشرى بأروع حجة وأحكم برهان .

طرق الاستدلال القرآنى :

وهى مجموعة الأدلة والبراهين التى استخرجها المفكرون المسلمون من القرآن الكريم مثل قياس الاولى والاستدلال بالآيات والاستدلال التاريخى والاقيسة الاضمارية وغيرها كثير

وسأورد فى هذا البحث نماذج من طرق الاستدلال القرآنى فى الرد على الخصوم وسأذكر ذلك على سبيل الايضاح لاعلى سبيل الحصر ومن مسالك الاستدلال القرآنى فى الرد على الخصوم ما يلى :

---

(١) الموافقات للشاطبى جـ٣ ص٣٢–٣٣

المبحث الأول

قياس الأولى

تعريفة : ينقل الدكتور على النشار تعريفا لقياس الاولى ارتضاه ابن تيمية هـــو ما يكون الحكم المطلوب فيه أولى بالثبوت من الصور المذكورة فى الدليل الدال عليه[1] .

وقياس الاولى هو الذى كانت الرسل تستخدمه فى إقامة الادلة على وجود الله وإثبات الصفات لله تعالى فلم يكن الرسل تستخـــدم القياس الشمولى الارسطى الذى تستوى أفراده ولا قياس التمثيل فإن الله سبحانه وتعالى لا مثيل له ولا يجتمع هو وغـــيره تحت كلى تستوى أفراده بل استخدموا قياس الأولى الذى يقرر أن ما يثبت لغير الله من صفات الكمال فثبوتها له بطريق الأولى وما تنزه عنه غيره من النقائص فتنزهه عنه بطريق الأولى)[2] .

وقد استخدم القرآن الكريم قياس الأولى فى إقامة الدليل على البعث يقول تعالى : أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم)[3]

---

(١) د / على سامى النشار مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ص ٢١٨

(٢) ابن تيمية الرد على المناطقة ص ١٥

(٣) يس آيه

فقد استدلت الآية على إمكان البعث بخلق السموات والأرض وأكدت هذا القياس بضرب من الأولى وهو أن خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس والقادر على خلق ماهو أكبر وأعظم من المنكرين قادر على خلقهم[1] ،

وهذا النوع من الاستدلال شائع فى القرآن الكريم

---

(١) أعلام الموقعين جـ١ صـ١٤٧ ابن القيم

المبحث الثاني

الاستدلال بالآيات

يعرفه ابن تيمية فيقول بأنه العلم بأستدلال جزئى على جزئى ملازم له بحيث يلزم من وجود أحدهما وجود الآخر فطلوع الشمس آية على وجود النهار (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة)[1] .

فنفس العلم بطلوع الشمس يوجب العلم بطلوع النهار ومعجزات النبى ﷺ آية على نبوته فنفس العلم بثبوت تلك المعجزات يوجب العلم بثبوت نبوة النبى[2] .

ويرى ابن تيمية أن العلم بكون هذا الشيء مستلزماً لذلك هو جهة الدليل ولابد أن يكون كل دليل فى الوجود مستلزماً للمدلول ويقرر ابن تيمية : أن هذا النوع أقرب إلى الفطرة من القياس المنطقى الذى ينتقل فيه العقل من حكم كلى عام إلى أحكام جزئية ذلك أن القضايا الكلية تتحقق منها عن طريق النظر فى الجزئيات وهذا تكلف فالأولى الانتقال من الجزئى إلى الجزئى فالعلم باستلزام المعين للمعين المطلوب أقرب إلى الفطرة من العلم بأن كل معين من معينات القضية الكلية يستلزم النتيجة[3] .

---

(١) الإسراء آية رقم ١٧

(٢) ابن تيمية الرد على المنطقيين ص ١٥١

(٣) صون المنطق جـ٢ ص٦٦ نقلا عن د/ سعد الدين ص ٢٣ه قصة الصراع بين منطق اليونان ومنطق المسلمين .

ويقسم ابن تيمية الاستدلال بالآيات الذى يستدل فيه بأحد المتلازمين على الآخر إلى قسمين : مطرد وغير مطرد ذلك أن اللزوم إن كان دائماً لا يعرف له ابتداء بل هو منذ خلق الله الأرض كوجود الجبال والأنهار كان الاستدلال مطرداً بمعنى أنه يستدل بالشيء وعليه .

وإن كان اللزوم أقل من ذلك مدة مثل الكعبة استدل بها بحسب ذلك فيستدل بها وعليها أى يستدل بها على الجهات ويستدل بالجهات عليها . وما كان مدتها أقل من مدة الكعبة كالأبنية التى فى الأمصار والأشجار كان الاستدلال بها بحسب ذلك فيقال علامة الدار الفلانية أن على بابها شجرة من صفتها كذا وكذا وهما متلازمان مدة من الزمان .

فهذا وأمثاله استدلال بأحد المتلازمين على الآخر وكلاهما معين جزئى[1] .

ويؤكد ابن تيمية أن هذا النوع من الاستدلال ليس قياس التمثيل الذى ننتقل فيه من الحكم على جزئى إلى الحكم على جزئى آخر ولكنه لا يذكر لنا الفرق بينهما .

ويشير الدكتور سعد الدين إلى الفرق بينهما فيقول إن قياس التمثيل يحتاج إلى أكثر من حركة فكرية إذ تحتاج إلى الانتقال من الحكم على جزئى إلى الحكم على جزئى آخر مشابه له ثم النظر فى تحقيق الجامع بين الجزئيين وغير ذلك . أما الاستدلال بالآيات فإن الانتقال يكون فيه مباشرة بلا وسيط .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٢٣

(٢) د/ سعد الدين السيد قصة الصراع بين منطق اليونان ومنطق المسلمين ص ٥٢٤

المبحث الثالث

الاستدلال التاريخي

وهو مسلك من المسالك التي استخدمها القرآن الكريم في لفت النظر إلى أخذ العبرة والاعتبار بحال الأمم الماضية وماحدث لها وهذا نوع من القياس الذي يسميه القرآن - كما يشير إلى ذلك الدكتور محمد إقبال - أيام الله .

يقول تعالى : [ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن اخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور](١) .

[قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين](٢) .

وقد اهتم القرآن الكريم بالتاريخ باعتباره مصدراً من مصادر المعرفة الإنسانية(٣) .

وهو يتضمن نوعاً من القياس نسميه بالقياس التاريخي وهو الذي أطلق عليه المفسرون (الاستدلال بالقصص القرآني)(٤) .

---

(١) إبراهيم (٥).
(٢) آل عمران ١٣٧
(٣) محمد إقبال تجديد الفكر الديني ص ١٦٠
(٤) مناهج الجدل في القرآن ص ٨٤ د/ زاهر عواض .

وقد اتخذ القرآن الكريم من القصص سبيلاً للإقناع والتأثير وفى ضمن القصة أدلة على بطلان الشرك وعبادة الأوثان وقد يكون موضوع القصة رسولا يعرفون قدره كقصة إبراهيم وموسى عليهما السلام فإن معظم العرب كانوا يعظمون إبراهيم عليه السلام لأنهم ينتسبون إليه وكانوا يزعمون أنهم على ملته واليهود تعظمه أيضاً وتعظم موسى عليهما السلام ويجىء الدليل على لسان رسول الله يقر بفضله المخالفون كإبراهيم عند العرب وموسى عند بنى إسرائيل يعطى الدليل قوة فوق قوته الذاتية إذ تكون الحجة قد أقيمت عليهم من جهتين : من جهة قوة الدليل الذاتية ومن جهة أن الذى قاله رسول أمين يعرفونه فيكون هذا قوة إضافية وفوق ذلك فيه إلزام وإفحام إذ أنهم يدعون أنهم أتباعه .

ففى قصة إبراهيم مع قومه فى إبطال عبادة الكواكب ومجادلته النمروذ فى إثبات الوحدانية لله وقصة موسى مع فرعون ومادار بينهما من صراع انتهى بانتصار الحق على الباطل كل ذلك يجىء دليلا على صدق أنبياء الله ورسله فيما أخبروا به من الدعوة إلى الإيمان الصحيح .

المبحث الرابع

مطالبة الخصم بتصحيح دعواه وإثبات أنه كاذب فى مايدعيه :

ونستطيع أن نشير إلى ذلك ماجاء فى دعوى اليهود بأن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة قال تعالى [وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون](1) .

ومن المعلوم أن هذه الدعوى فى أمر غيبى لايثبت إلا بالوحى فكأن القرآن الكريم قال لهم : دعواكم هذه مبنية على أحد افتراضين :

إما أن يكون عندكم عهد من الله وبرهان على ماتقولون فيلزمكم الإدلاء به والله لا يخلف عهده(2) .

وإما أن يكون قولكم هذا تقولا على الله بلا علم فتكون دعواكم خالية من الدليل .

والدعاوى ما لم يقيموا عليها   بينات أصحابها أدعياء(3)

وبما أنه لم يثبت عندكم من الله عهد فقد انتفى هذا الافتراض وثبت الافتراض الثانى وهو أن دعواكم خالية من الدليل فبطلت لخلوها من العلم والبرهان .

وهذا الاستدلال شائع فى القرآن وفيه إفحام للخصم .

---

(1) سورة البقرة آية ٨٠

(2) مناهج الجدل فى القرآن د/ زاهر الالمعى ص ٨٥

(3) هذا البيت للبوصيرى الشاعر وله ديوان ، وقد طبع بمطبعة البابى الحلبى .

المبحث الخامس

القول بالموجب

وهو إبطال دعوى الخصم من فحوى كلامه ويقسمه السيوطي قسمين[1]:

١ ـ أحدهما: أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فيثبتها لغير ذلك الشيء ويمثلوا لذلك بقوله تعالى: (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين . ولكن المنافقين لا يعلمون[2] .

فالأعز في كلام المنافقين وقعت كناية عن فريقهم و [الأذل] كناية عن فريق المؤمنين وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة فأثبت الله في الرد عليهم صفه العزة لغير فريقهم إذ أثبتها تبارك وتعالى له ولرسوله وللمؤمنين .

فكأنه قيل صحيح ما تقولون (ليخرجن الأعز منها الأذل) ولكن الأعز هو الله ورسوله والمؤمنون وأنتم الأذل وستخرجون منها .

الثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه .

قال السيوطي (ولم أرى من أورد له مثالا من القرآن وقد ظفرت بآية منه وهي قوله تعالى: (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم[3] .

---

(١) الإتقان للسيوطي ج ٤ ص ٥٦

(٢) سورة المنافقون آية ٨

(٣) المرجع السابق ص٨٦ والآية من سورة التوبة رقم ٦١

المبحث السادس

الإسجال

وهى أن تثبت على لسان خصمك ألفاظاً فى سياق آخر تسجل به عليه ما كان عنده محل شبهة وإنكار وذلك مثل قوله تعالى : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ماوعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون[1] ».

---

(١) سورة الأعراف آية ٤٠

المبحث السابع

الأقيسة الإضمارية

إن القرآن الكريم قد استعمل فى جدله الإثبات أو النفى بالحجة والحجة حسب التفسير المنطقى [هى التى يؤتى بها فى إثبات ما تمس الحاجة إلى إثباته من العلوم التصديقية وهى ثلاثة أقسام : قياس واستقراء وتمثيل][1] .

والأقيسة الإضماريه هى التى تحذف فيها إحدى المقدمات مع وجود ما ينبىء عن المحذوف سواء كان المحذوف الكبرى أو الصغرى لظهورها .

وقد مثل الإمام الغزالى للأولى كأن تقول : هذان متساويان لأنهما ساويا شيئاً واحداً والكبرى المحذوفة هى . الأشياء المتساوية لشىء واحد متساوية] ومثل الثانية كأن تقول واتق مكيدة هذا لأن الحساد يكايدون والصغرى المحذوفة هى : هذا حاسد[2] .

وما كان الحذف ليقع إلا لوجود ما ينبىء عليه فهو محذوف معلوم مطوى فى الكلام منوى فيه][3] .

وحذف المقدمات هذا يكثر فى البرهنات الخطابية والمستقرىء لأدلة القرآن يلاحظ أن أكثرها قد حذفت منها إحدى المقدمات .

---

(١) الغزالى معيار العلم فى المنطق ص ٧٧

(٢) الغزالى معيار العلم فى المنطق ١٠٣

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة المعجزة الكبرى

حذراً من التطويل وتحقيقاً للايجاز[١] .

يقول صاحب شرح الطحاوية : إن الطريقة الفصيحة فى البيان أن تحذف إحدى المقدمات وهى طريقة القرآن[٢] .

وعدم ذكر إحدى المقدمات لا يقلل من قوة الإستدلال ولا من طاقة الخامه .

قال الغزالى بل ينبغى أن يكون عين عقلك مقصورة على المعنى وموجهة إليه لا إلى الاشكال اللفظية فكل قول أمكن أن يحصل مقصوده ويرد ما ذكرناه من القياس فقوته قوة قياس وهـــو حجة وإن لم يكن تأليفه ما قدمناه من التأليف[٣] .

وذكر الغزالى أن القرآن مبناه على الحذف والإيجاز واستشهد بقوله تعالى : « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون[٤] » : وقد ذكر صاحب أسباب النزول [٥] .

أن وفد نجران قالوا للرسول ﷺ مالك تشتم صاحبنا ؟ قال : وما أقول؟ قالوا : نقول : أنه عبد قال أجل إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول فغضبوا وقالوا : هل رأيت انساناً قط من غير أب فإن كنت صادقاً فأرنا مثله فأنزل الله عز وجل الآية .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٣٣٨ .
(٢) شرح العقيدة الطحاوية على بن على بن محمد أبى العز ص ٢٣
(٣) معيار العلم فى المنطق ص ١٠٢ الغزالى .
(٤) آل عمران آية ٥٩
(٥) على ابن أحمد النيسابورى أسباب النزول ص ٥٧ .

وفي رواية : جاء راهباً نجران إلى النبي ﷺ... قالا : من أبو عيسى وكان لا يعجل في الجواب حتى يأمره ربه فأنزل هذه الآية .

وقال الفخري الرازي : أجمع المفسرون على أن هذه الآية نزلت عند حضور وفد نجران على الرسول ﷺ وكان من جملة شبههم أن قالوا : يا محمد لما سلمت أنه لا أب له من البشر وجب أن يكون أبوه هو الله تعالى فقال : أن آدم ما كان له أب ولا أم ولم يلزم أن يكون أبنا لله تعالى فهكذا القول في عيسى[1] .

إن أسباب النزول تبين بوضوح أن الآية نزلت في معرض الرد عن قوله عيسى أي أنها قدمت كاستدلال للسؤال : هل رأيت إنسانا قط من غير أب وإذا نظرنا في تركيبها وجدناها تحمل مقايسة بين خلق آدم وخلق عيسى ذكر ابن القيم [إن عيسى نظير آدم في التكوين بجامع ما يشتركان فيه من المعنى الذي تعلق به وجود سائر المخلوقات وهو مجيئها طوعا لمشيئته وتكوينه[2] .

ويقول الشوكاني: تشبيه عيسى بآدم في كونه مخلوقاً من غير أب كآدم وجاء المشبه به أشد غرابة من المشبه وأعظم عجباً وأغرب أسلوباً لأن آدم خلقه من تراب أي لم يكن له أب ولا أم[3] .

وللرازي قول مفيد يقول [وإذا جاز أن يخلق الله تعالى آدم من التراب فلم لا يجوز أن يخلق عيسى من دم مريم ؟ بل هو أقرب إلى العقل .

---

(١) الفخر الرازي : التفسير الكبير جـ٨ ص ٧٩
(٢) ابن القيم الجوزية أعلام الموقعين جـ١ص ١٣٤
(٣) الشوكاني : الفتح القدير جـ٢ ص ٣٤٦

فإن تولد الحيوان من الدم الذى يجتمع فى رحم الأم أقرب من تولده من التراب اليابس[1] .

وينتج عن هذا : أنه إذا كان الخلق من غير أب مسوغاً لاتخاذ عيسى إلهاً فأولى أن يكون الخلق من غير أب ولا أم مسوغاً لا تخاذ آدم إلهاً ولا أحد يقول ذلك[2] .

وقد كانت المقايسة التى وجدت فى الآية من قبيل قياس العلة [لأن آدم وعيسى نظيران يجمعهما المعنى الذى يصح تعليق الإيجاد والخلق به[3] .

وهى — أيضاً — من قبيل القياس الإضمارى باعتبار أن إحدى المقدمات محذوفة وكان سياق الدليل فى غير كلام الله تعالى يكون هكذا . إن آدم خلق من غير أب ولا أم وعيسى خلق من غير أب فلو كان عيسى إلها بسبب ذلك لكان آدم أولى لكن آدم ليس أبنا لله ولا إلها باعتراف المسيحيين أنفسهم فعيسى - أيضاً - ليس أبنا ولا إلهاً[4].

وأن الحذف قد صير فى الكلام طلاوة وكسبه رونقاً وجعل الجملة مثلا مأثوراً يعطى الكلام حجة فى الرد على النصارى ويذكر الجميع بأن آدم والناس جميعاً ينتهون إليه وإنما خلق من تراب فلا عزة إلا لله تعالى .

---

(١) الرازى التفسير الكبير حـ ٨ ص ٧٨
(٢) الشيخ محمد أبو زهرة المعجزة الكبرى ص ٣٣٩
(٣) ابن القيم الجوزية أعلام الموقعين حـ ١ ص ١٣٤
(٤) الشيخ محمد أبو زهرة المعجزة الكبرى ص ٢٩٨

المبحث الثامن

قياس الخلف

وهو إثبات المطلوب بإبطال نقيضه وذلك لأن النقيضين لا يجتمعان ولا يخلو المحل من أحدهما كالمقابلة بين العدم والوجود وإثبات الصدق ببطلان الكذب .

وقد سمى هذا القياس بقياس الخلف أما لكونه يستلزم الرجوع من النتيجة إلى الخلف لأخذ المطلوب من المقدمة المتروكة وهي مقدمة الخصم الكاذبة وذلك بالبرهنة بكذبها على صدق نقيضها وأما لكونه مضافاً إلى الخلف وهو الكذب المناقض للصدق[1] .

فدليل الخلف أن يبطل النقيض فيثبت الحق وأن القرآن الكريم يتجه فى استدلاله إلى ابطال ما عليه المشركون فيبطل عبادة الأوثان ويثبت التوحيد ويسمى علماء الكلام هذا الدليل دليل التمانع وهو فيما يلي على سبيل الذكر لا الحصر قوله تعالى : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا[2] .

وقد علق السيوطى على هذه الآية بقوله بأنها استدلال على أن صانع العالم واحد بدلالة التمانع[3] .

---

(١) الغزالى معيار العلم فى فن المنطق ص ٦٠ .

(٢) الأنبياء ٢٢ .

(٣) السيوطى الإتقان جـ ٢ ص ١٣٦ .

وتقرير الدليل كما يسوقه علماء الكلام هكذا لو كان فى السموات والأرض آلهة لتنازعت الإرادات بين السلب والإيجاب ولنتج عن هذا التنازع فساد هما لتخالف الإرادات ولكنهما لما كانتا صالحتين غير فاسدتين بطل ما يؤدى إلى الفساد وهو التعدد فتثبت الوحدانية وامتنعت الوثنية لإمتناع الفساد فكانت الوحدانية .

قوله تعالى : ما أتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون[١] .

أى لو كان مع الله إله لكان منهما التفرق وأن يذهب كل واحد منهما بخلقه ويعلو بعضهم على بعض فتسود الفوضى ويختل النظام لأن ذلك هو طبع الآلهة ومن تصور الهاً بلاغلبة ولامانعة واستئثار بالسلطة فقد تصوره بشأن غير شأنه وطبيعة غير طبيعته[٢] .

ويشير ابن القيم إلى هذا الدليل فيقول :

إن انتظام أمر العالم العلوى والسفلى وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم لايختلف ولايفسد من أدل دليل على أن مدبره واحد . . كما دل دليل التمانع على أن خالقه واحد لارب غيره[٣] .

قوله تعالى : لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا[٤] .

إن امتناع أن تكون الإلهة فى حالة اتفاق يؤدى إلى امتناع التعدد

(١) المؤمنون ٩١ .
(٢) محمد أحمد العدوى آيات الله فى الآفاق ص ٣١
(٣) ابن القيم : التفسير القيم ص ٣٧١ .
(٤) الإسراء ٤٢ .

(فمن تصور الإلهة فى وفاق ووئام فقد نسى طبيعة الإله لأن شأن الإله الغلبة المطلقة والاستئثار بالملك[1] .

وبما أن الفساد الناتج عن الاختلاف لم يكن موجوداً فمعنى هذا أن المؤدى إليه وهو التعدد ممتنع: ومن قياس الخلف فى إثبات أن القرآن من عندالله سبحانه وتعالى قوله (لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً)[2] .

وإذا ثبت أنه ليس فيه اختلاف ولا تضارب فى مقرراته ولا عباراته فإنه يثبت النقيض وهو أنه من عند الله تعالى[3] .

والخلاصة : أن القرآن قد استعمل العديد من قياس الخلف الذى يثبت به المطلوب بإبطال نقيضه .

---

(١) محمد أحمد العدوى آيات الله فى الآفاق ص ٢٥ .
(٢) سورة النساء آية ٨٢ .
(٣) المعجزة الكبرى محمد أبو زهرة ص ٤٠١ .

المبحث التاسع

السبر والتقسيم

وهو منهج يعتمد على حصر أوصاف الموضوع الذى يجادل فيه الخصم ثم يبين أنه ليس فى أحد هذه الأوصاف ما يسوغ قبول الدعوى فتبطل دعوى الخصم .

قال الغزالى :[وهو الذى يسميه الفقهاء والمتكلمون السبر والتقسيم][1].

وهو [أن يبحث الناظر عن معان مجتمعة فى الأصل ويتبعها واحداً واحداً ويبين خروج آحادها عن صلاح التعليل به إلا واحداً يراه ويرضاه][2] .

أو [حصر الأوصاف التى توجد فى الأصل والتى تصلح العلية فى بادىء الرأى ثم ابطال ما لا يصلح منها فيتعين الباقى للعلية][3] .

ويمكن أن يستنتج أنه يمر بعملتين :

أحدهما : الحصر وهو المقصود بالتقسيم .

وثانيهما : الأبطال وهو المراد بالسبر[4] .

ذكر السيوطى من أمثلة السبر والتقسيم فى القرآن[1] .

قوله تعالى : ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال

---

(١) الغزالى معيار العلم ص ٨٩ .

(٢) على سامى النشار مناهج البحث عند مفكرى الإسلام ص١١٤

(٣) المرجع السابق ص ١١٤ .

(٤) هناك من شذ عن هذا التقسيم فلا يفرق بين السبر والتقسيم بل يعتبر كلا منهما شاملا للعمليتين عملية الحصر وعملية الأبطال .

انظر : د . على سامى النشار مناهج البحث عند الفكرى الإسلام .

(١) السيوطى الإتقان جـ٢ ص ١٣٦ .

وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون[1] .

وقوله : [ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قــل : آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبؤنى بعلم إن كنتم صادقين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما أشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدى القوم الظالمين[2] .

وقد بين السيوطى وجه الاستدلال بهذه الآية فقال إن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى رد الله عليهم بطريق السبر والتقسيم فبين أنه قد خلق من كل زوج ذكراً وأنثى فما علة تحريم ما حرمتم ؟

لا يخلو أن يكون ذلك من جهة الذكورة أو الأنوثة أو إليها معاً أو لا يدرى له علة بأن يكون أمراً تعبديا أوصى الله به أما بواسطة وحى وإما بالمشافهة فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها .

ويلزم على الأول أن يكون جميع الذكور حراماً .

ويلزم على الثانى أن يكون جميع الإناث حراماً .

ويلزم على الثالث تحريم الصنفين معاً .

والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه وبواسطة رسول كذلك باطل لأنه لم يأتهم رسول قبل محمد صلى الله عليه وسلم بهذا وإذا بطل جميــع ذلك ثبت المدعى وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال[3] .

---

(١) النحل ١١٦ . (٢) الأنعام آية ١٤٣ — ١٤٤ .

(٣) الإتقان فى علوم القرآن السيوطى ص ١٧٣ ج ٢

المبحث العاشر

الاستفهام التقريري

وهو الاستفهام عن المقدمات البينة البرهانية التى لا يمكن لأحد أن يجحدها وهى تدل على المطلوب لتقرير المخاطب بالحق ولاعترافه بانكار الباطل(١)

وهذا النوع من أحسن جدل القرآن بالبرهان فإن الجدل إنما يشترط فيه أن يسلم الخصم بالمقدمات أو أن تكون بينة معروفة فإذا كانت بينة معروفة كانت برهانية(٣)

ومن الجدير بالذكر أن القرآن لايستدل فى مجادلاته بمقدمة لمجرد تسليم الخصم بها كما هى الطريقة الجدلية المعروفه عند علمـــاء المنطق بل القرآن يستدل بالقضايا والمقدمات التى يسلمها الناس لتكون أدعى للانقياد للحق ومجانبة الباطل ولاشك أن فى الاستفهام استثارة وبيانا لما فى النفوس ليكون الالزام أبلغ وأقوى(٢)

ومن أمثلة الاستفهام التقريرى مايلى :

١ ـ قوله تعالى (أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون . إلى قوله (سبحان الله عما يشركون)(٣) .

---

(١) مناهج الجدل فى القرآن د/ زاهر عواض ص ٨٠ .

(٢) منهج الفرقان فى علوم القرآن د/ محمد على سلامة طشيرا سنة ١٩٣٧ القاهرة .

(٣) المرجع السابق ص ٨٠

(٤) سورة الطور الآيات ٢٤ ـ ٤٣

٢ — قوله : (ألم نجعـــل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين [١] .

٣ — قوله تعالى (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم [٢] .

(١) سورة البلد الآيات ٨ ، ٩ ، ١٠ .
(٢) يس الآية ٨١ .

المبحث الحادي عشر

التمثيل

وهو الذى يسميه الفقهاء قياساً ويسميه المتكلمون رد الغائب إلى الشاهد[1] .

ويعرفه الغزالى بقوله ومعناه أن يوجد حكم جزئى معين واحد فينقل حكمه إلى جزئى آخر يشابهه بوجة ما أو[هو الاستدلال بالجزئى على الجزئى أى بحالة على حالة[2] .

ويعرفه الشيخ محمد أبو زهرة بأنه[أن يقيس المستدل الأمر الذى يدعيه على أمر معروف عند من يخاطبه أو على أمر بدهى لا تنكره العقول وتقربه الأفهام ويبين الجهة الجامعة بينهما[3] .

وقد سلك القرآن الكريم فى استدلاله هذا المسلك على أدق وجه وأحكمة مقربا مابين الحقائق القرآنية والبداهه العقلية ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى :

فسيقولون من يعيدنا ؟

قل الذى فطركم أول مرة[4] .

---

(١) الغزالى معيار العلم ٩٥

(٢) الإيجى المواقف جـ ١ صـ ٦٩

(٣) الشيخ محمد أبو زهرة المعجزة الكبرى صـ ٣٤٤

(٤) الإسراء ٥١

أى أن الذى فطركم أول مرة هو الذى يعيدكم ..

نلاحظ هنا أن الآية الكريمة عقدت المشابهة بين ابتداء الخلق وإعادته فى أبلغ تعبير وأسلم تقرير وأن فى هذه الأمثلة وغيرها مما اشتمل عليه القرآن الكريم قياس ما فى الغيب على المشاهد وقياس ما بينه الله تعالى وأوجب الإيمان به على ما هو واقع مرئى مشاهد وفيه الدلالة الكاملة على قدرة الله تعالى .

يقول الشيخ محمد أحمد العدوى (إن الآية أبانت مجهولا اعتمادا على معلوم فالخلق الأول معلوم بمقتضى الواقع والوجود ولا ينكره عاقل والخلق الثانى غائب فأبانت أن الغائب يقع كما وقع الشاهد ومن قدر على البدء قدر على الإعادة[1] .

(ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذى أحياها لمحيى الموتى إنه على كل شىء قدير[2]

فدل سبحانه عباده بما أراهم من الإحياء الذى تحققوه وشاهدوه على الإحياء الذى استبعدوه وذلك قياس إحياء على إحياء واعتبار الشىء بنظيره والعلة الموجبة هى عموم قدرته سبحانه وكمال حكمته)[3]

---

(١) محمد أحمد العدوى آيات الله فى الآفاق ص ١٩٢

(٢) فصلت ٣٩

(٣) ابن القيم أعلام الموقعين ج ١ ص ١٣٩

المبحث الثاني عشر

الاستدلال بالأمثال

من الطرق الاستدلالية المتبعة فى القرآن الكريم لإثبات بعض الحقائق وتبيانها بواسطة الأمثال :

والمراد من المثل :

الأمثال : جمع لمثل بالفتح ومثل بالكسر ومثيل : وهو من المثول بمعنى الانتصاب والتصور ومنه قوله تعالى(فتمثل لها بشراً سويا)[1] أى تصور[2] وقد فرق بعضهم بين المثل بالفتح والمثل بالكسر ، بأن الأول عبارة عن شبه المعانى المعقولة[3] .

أى عبارة عن المشابهة بغيره فى معنى من المعانى[4].

وأن الثانى عبارة عن شبه المحسوس ولما كان المثل السائر شيئاً فيه غرابة وقعت استعارته لكل حال أو صفة أو قصة يكتنفها شىء من الغرابة .

وظيفة المثل :

يرى الزركشى أن المثل يستعمل لإخراج مالا يعلم ببديهة العقل إلى مايعلم بالبديهة[5]

---

(١) مريم آية ١٧
(٢) الراغب الأصبهانى المفردات ٧٠٠
(٣) الزركشى البرهان جـ ١ ٤٩٠
(٤) الراغب المفردات ص ٧٠٠
(٥) الزركشى البرهان جـ ١ ص ٤٨٨

ومالم تجر به العاده إلى ماجرت به العادة ومالا قوة له من الصفة إلى ماله قوة وحسب الراغب[1].

عبارة عن قول فى شيء يشبه قولا فى شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر ويصوره ومن هنا ندرك : أن المثل يستخدم كدليل يقول الشيخ الرازى : أنه يؤثر فى النفس مثل تأثير الدليل[2] .

ويقول الشيخ أبو زهرة : تضرب الأمثال تقريب الحقائق العليا ولتشبيه الغائب غير المحسوس بما يقربه من القريب المحسوس ولتوضيح المعانى الكلية بالمشاهد الجزئية وللاستدلال بحال الحاضر على الغائب[3] .

ونظراً لأهمية الأمثال أشار القرآن إلى أنها مدعاة لأعمال العقل وتحريك الفكر يقول الله تعالى : [وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون[4] ،

وأنها لا يفهم مغزاها ولا يدرك كنهها وتأثيرها وإستيعابها لكثير من الفوائد إلا الراسخون فى العلم المتدبرون فى عواقب الأمور .

وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون[5] .

ونخلص من ذلك إلى أن الأمثال لأهميتها تستخدم كأدلة تساهم فى

---

(١) الراغب المفردات ص ٧٠٠
(٢) الرازى التفسير الكبير ج ٢٥ ص ٦٩
(٣) الشيخ محمد أبو زهرة المعجزة الكبرى ص ١٢٥
(٤) الحشر ٢١
(٥) العنكبوت ٤٣

إثبات الحقائق بواسطة بيان الأشياء وإستخراج خواصها إلى حد تكون أداة هداية بالنسبة لمن رزق قلبا نيرا وعقلا فاحصا وأداة ضلال بالنسبة لمن شب على العناد [يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به إلا الفاسقين](١) .

إستخدام المثل كدليل على بطلان الوثنية .

يقول الله تعالى : « يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره إن الله لقوى عزيز(٢) .

إن هذه الآية سيقت كدليل قال الرازى [اعلم أنه سبحانه لما بين من قبل أنهم يعبدون من دون الله مالا حجة لهم فيه ولا علم ذكر فى هذه الآية ما يدل على إبطال قولهم(٣) .

إن هذا المثل ضرب لإظهار حجتين :

الأولى : بما أن الأصنام وإن اجتمعت ليس فى إمكانها خلق ذبابة على ما هى عليه من ضعف فهل من اللائق إتخاذها معبوداً ؟ ! بل وحسب الرازى أن الجملة [ولو اجتمعوا له] منصوبة على الحالية فيصبح المعنى كما يلى : [بما أن الأصنام يستحيل عليها أن تخلق ذبابا حال إجتماعها فكيف بها حال إنفرادها وكل من كانت تلك حاله فهو غير مؤهل لأن يكون معبوداً ،

---

(١) البقرة ٢٦
(٢) الحج ٧٣ — ٧٤
(٣) الرازى التفسير الكبير ج ٢٣/ص ٦٧

الثانية : وبما أنها أيضاً إن يسلب الذباب منها شيئاً لا تقوى على إنتزاعه منه وكل من كان كذلك فكيف يليق جعله معبوداً ؟

إن هذه الحجة : جاءت على طريقة التسليم الجدلي أى على فرض أن الألوهية لا تحتاج إلى صفة الخلق والايجاد فعلى الأقل أن تكون فى وضع يمكنهما من استرجاع ما سلب منها ولذا قال الرازى ، كأنه سبحانه قال: [أترك أمر الخلق والإيجاد وأتكلم فيما هو أسهل منه][1] .

ولا يخفى ما فى هذا من إفحام وتبكيت وعلى كل فإن هذا المثل « سيق مساق الاستدلال » وكان بحق دليلا فى منتهى القوة حيث أثبت بطريقة حسية بطلان الوثنية وأقام الحجة على إظهار الوحدانية .

إستخدام المثل للتدليل على فساد اغترار الإنسان .

قال الله تعالى :

واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره ، أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال : ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا .

قال له صاحبه وهو يحاوره : أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحداً ولولا إذ دخلت جنتك قلت : ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربى أن يؤتينى خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقا أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلبا

---

(١) الرازى التفسير الكبير ج ٢٣ ص ٦٨

وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيهـا وهى خاوية على عروشها ويقول : يا ليتنى لم أشرك بربى أحداً ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخير عقبا][1] .

هذا مثل واقعى التصوير ضربه الله لمن يتعزز بالدنيا ويستنكف عن مجالسة الفقراء[2] .

ومهما كان الأمر فإنه يدحض بالحجج الواقعية مجموعة من المواقف التى غالباً ما يتردى فيها الإنسان وهى :

إن المكاسب المادية سواء أكانت أموالا أم ممتلكات أم أولاداً كثيراً ما تكون دواعى اغترار وكثيراً ما تحول المحظوظ إلى طاغية جبار متناسياً ضعفه وتعرضه إلى الزوال مستنكراً لكل ما توفرت له من مهيئات وما حفت به من مسخرات فيفتر بها ويفاخر بها غيره :

« أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً » ثم يتدرج فيدعى أن الأشياء لا تصاب بفناء ولا تلف وأن أمر الساعة مشكوك فيه ما أظن أن تبيد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة » .

ثم يتجاوز هذا الحد إلى الادعاء بأن له مكانة أفضل فى الآخرة [ولئن رددت إلى ربى لأجدن خيراً منها منقلبا] والسبب فى وقوع هذه الشبهة كما بين الرازى : أنه تعالى لما أعطاه المال فى الدنيا ظن أنه : إنما أعطاه

---

(١) سورة الكهف الآيات ٣٢ — ٣٤

(٢) الشوكانى الفتح القدير ج ٣ ص ٢٨٥

ذلك لكونه مستحقا له والاستحقاق باق بعد الموت فوجب حصول العطاء. ونستطيع أن نبرز الحقائق التي يؤنها المثل(١) فيما يأتي.

أولا: إن المكاسب المادية مما لا يجب الافتخار بها لإحتمال أن يتحول الغنى إلى فقر والفقر إلى غنى وإنما الذي يجب أن يكون أساس التفاخر وعمدة التفاضل: هو: طاعة الله وعبادته وما يترتب على ذلك من عمل صالح.

ثانياً: إن الحكم المتخذ في شأن دوام المكاسب وعدم قيام الساعة وفيما يتعلق بمصيره من باب الحكم على المستقبل إعتماداً على ما في الحال الحاضرة: وهو إلزام لما لا يلزم وذلك لأن الإنسان لا يمكن أن يعلم ما يضمره الغيب ومن هنا جاء المستقبل وخيب أمله وأبان له: أن ما كان يملكه وما كان يظن أنه دائم صار خاويا:

ثالثاً: الإدعاء: بأن الساعة غير قائمة مبنى على غير علم لأنه لو تدبر في خلقه وفي نموه وفي المراحل التي يقطعها من كونه يتحول إلى قوة من بعد ضعف وإلى ضعف من بعد قوة لأدرك أن الخلق الثاني ممكن وأنه من باب أولى.

رابعاً: أن الولاية لله فهو وحده والمالك للأمور كلها في ماضيها وحاضرها ومستقبلها(٢).

إستخدام المثل كدليل على إثبات البعث: من أمثلة القرآن التي استخدمت كدليل على أن البعث حق قوله تعالى:

---

(١) الفخر الرازي: التفسير الكبير ج ٢١ ص ١٢٦

(٢) الشيخ محمد أبو زهرة المعجزة الكبرى ٣٣٧

(أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال : أنى يحى هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام : ثم بعثه قال : كم لبثت قال : لبثت يوما أو بعض يوم قال : بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وأنظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال : أعلم أن الله على كل شىء قدير)[1] .

وفى هذه القصة نلاحظ أنه قد أبهم فيها اسم القرية ومكانها وهذا الرجل الذى مر عليها وقد اقتصر فيها على موضع العبرة وما به تقوم الحجة[2] .

ويقول سيد قطب : إن القرآن لم يفصح عنهما شيئاً ولو شاء الله لأفصح ولو كانت حكمة الله لا تتحقق إلا بهـــذا الإفصاح ما أهمله القرآن[3] .

إن هذه القصة رغم كونها سيقت كمثل : هى واقعية (وليس فى السياق ما يدل على أنها تصويرية)[4] وهى تبرك الحقائق التالية .

١ — يجب الفصل بين المقاييس الانسانية وبين مقتضيات الألوهية فما يبدو مستحيلا فى المنطق الإنسانى بناء على ما لدية من مقاييس يعد جائزا وممكنا فى جناب القدرة الإلاهية .

فالمائة عام التى بقيها الرجل فاقدا للشعور والإحساس دون أن تغادر

---

(١) البقرة ٢٥٩
(٢) أحمد مصطفى المراغى التفسير جـ ٣ ص ٢٢
(٣) سيد قطب فى الظلال حـ١ ص٢٩٩
(٤) محمد أبو زهرة المعجزة الكبرى ص ٣٣٠

وروحه بدنه كانت بمثابة يوم أو بعض يوم وأن الطعام رغم بقائه تلك المدة الطويلة لم يعتره أى تغيير ولم يصبه أى تعفن لما يؤكد ما حصل فى ظنه أنه بقى يوماً أو بعض يوم وهـذا دليل واقعى على أن ما هو جائز وممكن فى حق الله تعالى هو خارق للعادة بالنسبة للانسان وبالنسبة لمقاييسه[1] .

٣ — إن انقلاب عظام الحمار إلى الحياة هو معجزة[2] دالة على صدق ما سمع من قوله (بل لبثت مائة عام وكل ذلك يثبت قدرة الله على كل شيء وقدرته على إحياء الموتى وإن البعث حق لاريب فيه

---

(١) الشيخ أحمد مصطفى المراغى حـ٣ ص٢٣

(٢) الرازى التفسير حـ١ ص٢٨

المبحث الثالث عشر

طريقة التعميم والتخصيص

إن من بين مناهج الاستدلال التي استخدمها القرآن الكريم لاثبات بعض أهدافه [الاستدلال بالتعميم ثم التخصيص[1] .

وشكل هذا الاستدلال أن يذكر المحاور ما يريد اثباته من مضمون في شكل قضية عامة يبرهن عليها أولا بصورة إجمالية أو بدليل أجمالي ثم يتعرض — بعد ذلك — إلى بيان جزئياتها ليبرهن عليها بصورة تفصيلية إشارة إلى أن كل جزئي منها يؤدي إلى اثباتها واشعاراً بأن مجموعها يصلح أن يكون دليلا كليا عليها .

وإذا أخذنا الحوار الذي سلكه موسى عليه السلام مع فرعون لا تضح لنا أنه عليه السلام قد نهج معه نهجا يتلاءم وما تزوده من إرشاد وتوجيه مستمد من قول الله تعالى : «فقولا له قولا لينا[2] .

ومن الواضح أن من مستلزمات لينونة القول وآدابه دعوة المدعو إلى قبول المراد بطريق من طرق الإبانة الهادئة وهي الإبانة التي تخاطب العقل والوجدان .

وإذا تأملنا في أول ما عرضه موسى على فرعون فلاحظ أنه عرض الدعوى عرضا واضحا لا لبس فيه ولا غموض : « إني رسول من رب العالمين[3] » .

---

(١) محمد أبو زهرة المعجزة الكبرى ٣١٣

(٢) طه ٤٤

(٣) الأعراف ١٠٤

ويحتوى هذا العرض : توحيد الله بالربوبية وابطال ربوبية ما سواه لأن الدعوى تتضمن : أن الله رب العالمين .

والعالم كما يقول الرازى عبارة عن كل موجود سوى الله تعالى .

وهى على أقسام ثلاثة : المتحيزات والمفارقات والصفات.. بالاضافة إلى إمكان وجود عوالم أخرى لأنه [ثبت بالدليل أنه تعالى قادر على جميع الممكنات فهو قادر على أن يخلق الف الف عالم خارج العالم[1] .

فالدعوى التى عرضت هى أن هناك رب العوالم الموجودة والممكنة الوجود وكانت مواجهة فرعون لموسى عليه السلام تتمثل فى قوله وما رب العالمين فمن ربكما ياموسى[2] .

وكان رد موسى عليه السلام يتفق مع عموم الدعوى التى عرضها قال: ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى[3] .

وواضح أن رب العالمين : هو الذى أعطى كل شىء الخلق الذى يليق به ويليق بتواجده وسط الوجود وما فى الوجود من أجناس حية وجامدة .

فأعطى الكائن البشرى من الاستعدادات المادية والمؤهلات الذهنية مما يتلاءم وما تحمل من أعباء التكليف التعبدى وما تبوأ له من القيام بالعمل الحضارى وأعطى الوجود من المحتويات والمزودات ووسائل الطاقة ما يتوافق ومقدار الحجم الاستثمارى الممكن تحقيقه وما يتناسب واطراد النمو البشرى وتضخمه وأعطى العناصر البيئية والمناخية من

---

(١) الرازى التفسير الكبير ج ١ ص ٦ ط دار احياء التراث

(٢،٣) طه ٤٩ — ٥٠

التكوين البسيط والتركيب وإمكان التوالد والتبدن والتشكل والتفاعل ما يتجانس وتحركات الكائن الانسانى[1] .

يقول سعيد بن جبير : [أعطى كل ذى خلــــق مـا يصلحه من خلقه[2] .

ويقول الشوكانى : أعطى كل شىء صورته وشكله الذى يطابق المنفعة المنوطة به المطابقة كاليد للبطش والرجل للمشى واللسان للنطق والعين للنظر والأذن للسمع[3] .

والذى يهمنا فى هذا الشأن أن موسى عليه السلام قــــد ساق هذا المضمون لأجل أن يدلل على ان الله رب العالمين .

وصورة القضية الله قـد أعطى كل شىء الخلق الملائم وكل من كان ذلك شأنه فهو رب العالمين فالله اذن رب العالمين ولا رب سواه باعتبار أن سواه لم يتصف بما اتصف به رب العالمين بحكم الواقع المشاهد .

ثم إن فرعون حاول أن يشغل بموسى عن الاستدلال ليوجهه بأمر خارج عن القضية المطروحة حتى لا يتورط فى قبول — ولو جدليا — ما لا يرتضى — .

قال : فما بال القرون الأولى[4] .

---

(١) الجدل د/ محمد النوى ص ٩٨

(٢) ابن كثير التفسير جـ ٣ ١٥٥

(٣) الشوكانى الفتح القدير جـ ٣ ص ٣٦٨

(٤) طه ٥١

وذكر الشوكانى : قيل إن سؤال فرعون عن القرون الأولى مغالطة لموسى لما خاف أن يظهر لقومه أنه قد قهره بالحجة[٢] .

وجاء فى تفسير أحمد المراغى : وإنما سأل فرعون هذا السؤال لخوفه أن يزيد موسى فى إظهار تلك الحجة فيتبين للناس صدقه فأراد صرفه عن ذلك وشغله بالقصص والحكايات[٣] .

ولكن تفطن إلى المغالطة والمراوغة فأجابه بما ينبه بأن فى هذا خروجا عن الموضوع أى : [ان هذا الذى سألت عنه ليس مما نحن بصدده[٤] .

وبما يقيم طائفة من الأدلة التفصيلية على القضية الأولى وهى عالمية ربوبية الخالق وبما يفيد أنها استدلالات جزئية لما كان قد قدمه كدليل أجمالى عندما قال « ربنا الذى أعطى كل شيء خلقه » قال : علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الأرض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم ان فى ذلك لآيات لأولى النهى »[٥] .

والمتأمل فى هذا الجواب يلاحظ ما يأتى :

أن موسى أحال قضية القرون الماضية ومصيرها وما جرى فيها من أحداث وما فعل أقوامها وما يترتب على ذلك من مآل بسبب فعلهم إلى

---

(٢) الشوكانى الفتح القدير حـ ٣ ص ٣٦٩
(٣) أحمد مصطفى المراغى حـ ١٦ ص ١١٨
(٤) الشوكانى الفتح القدير حـ ٤ ص ٣٦٨
(٥) طه ٥٢

علم الغيب الذى هو من متعلقات رب العالمين الذى لا يفوت عليه شىء ولا يضيق عليه بشىء .

يقول الفخر الرازى : والأحسن ما قاله القفال .

لا يضل عن الأشياء ومعرفتها وما علم من ذلك لم ينسه فاللفظ الأول : « لا يضل » إشارة إلى كونه عالماً بكل المعلومات واللفظ الثانى : ولا ينسى دليل على بقاء ذلك العلم — أبد الآباد وهو إشارة إلى نفى التغيير »[1] .

وإذا كان علم الله لا يغيب عنه حال القرون الأولى .

وإذا كان الله لا يضل عنه علم شىء من الأشياء ولا ينسى ما علمه منها فذلك مما يدل على كونه رب العالمين وعلى كونه قد أعطى - فعلا - كل شىء خلقه بحكم كونه عالماً بكل ما يجعل الخلق خلقاً ملائماً .

ثم أبان موسى أيضاً - أن ذلك الذى لا يضل ولا ينسى هو ذلك الذى جعل الأرض على الهيئة التى عليها من كونها مهداً ومن كونها ممهدة لتتجانس مع خلق الإنسان على النمط الذى عليه حيث يتحقق بتمهيدها وباحتوائها على المسالك أو بقابليتها كما يريده الإنسان من الاستمرار الذى يمكنه من الحياة كلها كلما كانت الحياة ميسورة .

يقول الشيخ سيد قطب :

فأعطى هذه الأرض خلقها على الهيئة التى خلقت بها صالحة للحياة التى

---

(١) الرازى التفسير الكبير ج ٢٢ ص ٦٨ .

قدرها فيها وأعطى البشر خلقتهم كذلك على الهيئة التى خلقهم بها صالحين للحياة فى هذه الأرض التى مهدها وجعلها مهدهم[1] .

وذكر الرازى فى تفسيره المراد من كون الأرض مهداً أنه تعالى جعلها بحيث يتصرف العباد وغيرهم بالقعود والقيام والنوم والزراعة وجميع وجوه المنافع[2] .

وإذا كانت الأرض من خلق الله وإذا كانت هيئة الخلق من إبداعه وإذا كان التناسق بين هيئتها وهيئـــة الإنسان قائماً بكيفية جعلت حياته رهينة حياتها وعمارتها رهينة وجوده وسعيه وكان ذلك التناسق من تدبير الخالق وإحكامه كل ذلك مما يدل على أنه تعالى قد أعطى كل شىء خلقه وبالتالى مما يدل على كونه رب العالمين .

ثم أضاف موسى إن إنزال الماء من السماء وما يترتب عن إنزاله من انتعاش الأرض وجعلها صالحة للحياة بما يخرج منها من نبات شتى واشتمال النبات على خلايا التذكير والتأنيث لتكون كل واحدة مزودة بما يضمن نماؤها واستمرار تجددها وفق قانون التزاوج وحاجة الأنعام لكل ذلك وحاجة الإنسان الضرورية إلى الكل باعتبارها مقومات أساسية لحفظ تواجده واطراد نموه كل ذلك مما يدل على أن الله قد أعطى كل شىء خلقه وبالتالى مما يثبت أنه رب العالمين .

ومن الممكن إيجاز خطة الاستدلال فيما يأتى :

١ — الله هو رب العالمين والدليل على ذلك أن الله أعطى كل شىء خلقه .

---

(١) سيد قطب فى ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٣٣٩ .
(٢) الرازى التفسير ج ٢ ص ٦٧ طبعة دار التراث .

٢ — إن الله قد أعطى كل شيء خلقه .

(أ) والدليل على ذلك أن الله جعل الأرض فراشاً وبكيفية تتلاءم مع منافع الناس يقول الرازى : [كون الأرض جامعة للمنافع من معادن ونبات وحيان وآثار لا يعلم تفاصيلها إلا الله وكونها مختلفة البقاع فمنها أرض رخوة وصلبة ورملة وسبخة وحرة وهى قوله تعالى « وفى الأرض قطع متجاورات » ، وكونها مختلفة الألوان فأحمر وأبيض وأسود ورمادى اللون وأغبر على ما قال تعالى « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود »[1] .

(ب) وبدليل إنزاله الماء بتلك الطريقة : وكون الماء النازلة فى مأمن من الضياع إذ أن نظام إسكان بعض الماء يمنع من ضياع الماء على سطحها تدريجياً فى باطنها وأن ما يخرج من الماء الغائر إلى السطح (وهو ماء العيون) ويصب طبعاً فى الأنهار هو من أهم الأسباب على استمرار جريان الماء فيها إذ يعوض عليها جزءاً هاماً مما ينصب منها فى البحار)[2] .

(ج) وبدليل أنه ينشىء بالماء الساكن فى باطن الأرض والماء الذى يسيل على سطح الأرض بساتين من أشجار ونبات شتى وخلاصة هذا أن الاستدلال على موضوع الدعوى قد وقع بالتعميم ثم وقعت البرهنة على ذلك بالتخصيص ، وفائدة هـــذا الإستدلال : الإشارة إلى أن كلا من الاستدلال بالعموم والاستدلال بالخصوص يثبت موضوع الدعوى وهو أن الله رب العالمين .

---

(١) الآية ٢٧ من سورة فاطر أنظر الرازى جـ ٢ ص ١٠٤ ط دار التراث .

(٢) د/ حنفى أحمد التفسير العلمى ص ٤٣٤ .

يقول الرازى لما ذكر الدلالة الأولى وهى دلالة عامة تتناول جميع المخلوقات من الإنسان وسائر الحيوانات وأنواع النبات والجمادات ذكر بعد ذلك دلائل خاصة ... أولها قوله تعالى : «الذى جعل لكم الأرض مهداً» (١) .

---

(١) الرازى التفسير الكبير جـ ٢٢ ص ٦٨ .

المبحث الرابع عشر

طريقة المقابلة

إن من المسالك التى استخدمها القرآن الكريم فى الاستدلال فى بعض محاوراته الجدلية الاستدلال بالمقابلة .

تعريفها : هى عبارة عن مقارنة بين قضيتين أو موازنة بين شيئين لمعرفة أيها المؤثر فى الآخر إذا كان الأمر يتعلق بالمحتاج والمحتاج إليه أو أيها على حق إذا كان الموضوع يرتبط بتحديد موقع كل منهما من حيث بعده أو قربه من الصواب أو الخطأ .

فمن طريق المقابلة من الممكن أن نجرد هذا من كل الخصائص التى أسندت إليه عن جهل وغباوة والاعتراف للآخر بما هو حقيق كل هذا من أجل الوصول إلى الحقيقة حتى تكون واضحة جلية وحتى لا تختلط الأمور فتنقلب الحقائق فيصير الفاعل مفعول والعلة معلول ففى مقام بيان نعم الله على الناس وفى مقام تعداد ما نوجد من دلائل كونية على وجود الله تعالى وقدرته وحكمته من تسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم ومن خلقه الأرض وماذرأ فيها مما تقام عليه حياة الناس ومن جعله البحر منبعاً معيشياً هائلا وتهيئته لحمل الجوارى المنشآت على سطحه كالأعلام وما يترتب عن تحركاتها وسفراتها من تقارب بشرى وتمازج حضارى وتبادل منفعى ومن إيجاده لتنقلاتها بما يضمن وصولها إلى مقاصـــدها وعودتها إلى موطنها بسبب ما فى الأرض من ثوابت وأنهار ومسالك - إذ أنها والنجوم بالنسبة إليها علامات تهديها إلى سواء السبيل[1] .

---

(١) النحل ١٤–١٦ وانظر تفسير د/ حنفى أحمد التفسير العلمى لهذه الآيات .

فى ذلك السياق من سورة النحل ترى القرآن يعقب على ذلك بقوله تعالى : « « أفمن يخلق كمن لا يخلق »[1] .

وفى هذه الآية نلاحظ أنها تقيم مقابلة بين الله الذى خلق ما وقع تعداده من مختلف المصنوعات العظيمة — وخاصة — ما له تأثير على حياة الناس ومنافع الناس وبين ما اعتقد المشركون أن له تأثير فى إحداث أشياء أو فى دفع أشياء يخاف من شرها وجلب أشياء يرجى خيرها وإذا كان المشركون أنفسهم يقرون بأن الخالق هو الله كما جاء فى قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله »[2] .

وإذا كان كل من به ذرة من عقل يدرك أن الأصنام غير جديرة لأن تنال شرف أدنى مقدار من الاحترام بحكم كونها لا تسمع ولا تبصر ولا أن تجلب لنفسه خيراً ولا أن تدفع شراً فضلا عن نفع أو إضرار غيرها وفق ما يفهم من قوله تعالى : [وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب[3] .

فالمقابلة حجة لإسكات المشركين .

ويعلق الرازى على الآية بقوله : [والمعنى أفمن يخلق هذه الأشياء التى ذكرناها كمن لا يخلق بل لا يقدر البتة على شىء أفلا تذكرون فإن هذا

---

(١) النحل ١٧ .
(٢) لقمان ٢٥ .
(٣) الحج ٧٣ .

القدر و يحتاج إلى تدبر وتفكر ونظر ويكفى فيه أن تتنبهوا على مافى عقولكم من أن العبادة لاتليق إلا بالمنعم الأعظم وأنتم ترون فى الشاهد إنساناً عاقلا فاهماً ينعم بالنعمة العظيمة . ومع ذلك فتعلمون أنه يقبح عبادته فهذه الأصنام جمادات محضة وليس لها فهم ولا قدرة ولا اختيار فكيف تقدمون على عبادتها وكيف تجوزن الاشتغال بخدمتها وطاعتها][1]

ويقول المراغى أيضاً بعد أن ذكر سبحانه الدلائل على وجود الإله القادر الحكيم ... قفى على ذلك بتبكيت الكفار وإبطال شركهم][2] .

وفى الظلال نجد تصويراً لهذا الالحام يقول الشيخ سيد قطب فهل هناك إلا جواب واحد : لا وكلا . فيجوز أن يسوى انسان فى حسه وتقديره بـــين من يخلق ذلك الخلق كله ومن لايخلق لا كبيراً ولا كبيراً][3] .

والملاحظ أن فى المقابلة التى تعرضها الآية قضيتين :

القضية الأولى :

وهى تهدف إلى الاعتراف — لزوميا — بأن الله هو المنفرد بالعبادة ولا معبود سواه ومن الممكن أن نصوغها على النحو التالى .

(أ) الله خالق كل شىء وهذا أمر لاينكر عاقل .

(ب) وكل من يكون كذلك فهو المستحق بالعبوديه .

---

(١) الرازى التفسير الكبير جـ ٢ صـ ١٢

(٢) أحمد مصطفى المراغى التفسير جـ ١٤ صـ ٦٤

(٣) سيد قطب فى الظلال جـ ٤ صـ ٢١٦٤

(ج) إذن فالله لا يعبد إلا هو ولا يستحق الإذعان إلا هو .

القضية الثانية : وهى تهدف إلى أن نجرد كل ماسوى الله من كل ماوصف به اعتباطا وإبطال كل مايلحق به بسبب الجهل وسوء التقدير من مظاهر التقديس والتكريم .

ووضع الخصم أمام الأمر الواقع الذى يقضى باهدار كل المبررات الممكنة .

ومن الممكن أن نصوغها على النحو التالى .

١ — الأوثان والأصنام وغيرها ليس لها أى تأثير فى الخلق والايجاد وليس بامكانها استنقاذ مايسلبها الذباب من شىء كما جاء فى قوله تعالى : ضعف الطالب والمطلوب)[1]

وكل مايكون كذلك لا ينال أى تقدير فضلا عن صلوحيته للعبادة .

(ج) — النتيجة — الأوثان والأصنام وغيرها لاتستحق تقديساً ولا تكريماً ولا يمكن أن تكون معبوداً .

وفى سورة لقمان نجد مقابلة — أيضاً — فبعد أن أشارت الآيات إلى بعض مخلوقات الله والتى يبدو فيها الإبداع والاتقان مما يلفت النظر إلى أنها مظهر من مظاهر قدرة الله وعظيم صنعته وختمت الآيات بقوله هذا خلق الله فأرونى ماالذى خلق الذين من دونه[2]

يقول الإمام القرطبى أن الخلق فى الآية بمعنى المخلوق[3]

---

(١) الحج

(٢) لقمان ٧١

(٣) القرطبى الجامع لأحكام القرآن ص ٥١٤٠

فالمقابلة هنا متجهة إلى الموازنة بين آثار الله تعالى وآثار الذين يعبدون من دونه طبقاً لما لزم من المشابهة الظاهرية — لا بين الذات العلية وبين الذين من دونه وخلق الله حسب ما تشير إليه الآيات :

١ — السموات المخلوقه بغير عمد مرئية :

٢ — ألقى فى الأرض رواسى حتى لا تصاب باضطراب يجعل امكان الحياة عليها معدوما .

٣ — أنزل الله من السماء ماء وجعله يسير طبق قواعد وضوابط .

٤ — انباته فى الأرض بما لها من تركيب وبما يغمرها من مياه من كل زوج بهيج[1] .

أما آثار المعبودات التى تعبد من دون الله لا شىء فى واقع الأمر .

ومن الممكن أن تصوغ القضيتين على النحو التالى .

الأولى :

(أ) الله له مخلوقات بادية فى الكون .

(ب) وكل من له مخلوقات فهو الاله المعبود .

(جـ) فالله اذن اله ولا معبود سواه .

الثانية :

(أ) ما يعبد من دون الله ليس لها أدنى مخلوق .

(ب) وكل ما يكون كذلك فليس باله .

---

(١) أنظر سورة لقمان الآيات ١٠ — ١١ .

(ج) فالذين من دونه ليسوا بآلهة وليسوا بمعبودين فهذه المقابلة تهدف إلى الاستدلال على إثبات ان الله قادر حكيم وأنه لا إله إلا هو ولا معبود سواه وبالتالى البرهنة على عدم وجود أى مسوغ لعبادة الاوثان يقول الرازى : يعنى الله خالق وغيره ليس بخالق فكيف تشركون عبادة الخالق وتشتغلون بعبادة المخلوق[1] .

وفى سورة الرعد نلاحظ هذه المقابلة يقول الله تعالى :

قل: من رب السموات والأرض قل : الله قل : افاتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضراً قل : هل يستوى الاعمى والبصير أم هل تستوى الظلمات والنور أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار[2] .

ان فى الآية مقابلات أربع :

المقابلة الأولى :

بين الله الذى هو رب السموات والأرض وبين معبودات صماء لا تملك لأنفسها نفعا ولا ضراً واستخدمت المقابلة للاستدلال على عدم وجود أى مبرر مقبول لما يحصل من التقرب والتوسل للاصنام وتقديسها وعبادتها .

يقول الفخر الرازى : ولما كانت عاجزة عن تحصل المنفعة لأنفسها ودفع المضرة عن أنفسها فبأن تكون عاجزة عن تحصيل المنفعة لغيرها ودفع المضرة عن غيرها كان ذلك أولى فإذا لم تكن قادرة على ذلك كانت عبادتها محض العبث والسفه[3] .

---

(١) التفسير الكبير الرازى ج٢٥ ص ١٤٤
(٢) الرعد ١٦
(٣) الرازى : التفسير الكبير ج١٩ ص ٣١

المقابلة الثانية :

هى : بين الاعمى ويشمل من لا يدرك الحقائق والبصير من يدركها »[1] .

وهى استدلال تدعيمى على حصيلة الأولى إذ أنه من المسلم به بداهة أن لا تساوى بين الاعمى والبصير فكيف يصح اذن القيام بما يشعر أو يثبت التساوى بين رب السموات والأرض وما لا يحرك ساكنا مما اتخذ من دونه :

يقول الرازى : ذاكرا العلاقة بين هذه المقابلة وسابقتها (ولما ذكرت هذه الحجة الظاهرة بين أن الجاهل بمثل هذه الحجة يكون كالاعمى والعالم بها كالبصير[2] .

المقابلة الثالثة :

هى بين الظلمات والنور وهى استدلال على ما ترمى إليه الأولى فإذا كانت الظلمة وما يترتب عنها من ضياع وضلال لا يمكن أن تكون مكافئة أو مساوية للنور وما يتولد عنه من إنارة واشعاع واتضاح واهتداء فكيف يتسنى أن يسوى بين جمادات جاثمة لا تحرك ساكنا وبين من كان من ابداعه السموات والأرض ؟

يقول الرازى : والظلمة لا تساوى النور كذلك كل أحد يعلم بالضرورة أن الجاهل بهذه الحجة لا يساوى العلم بها)[3] .

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة : المعجزة الكبرى ص ٣٢٣

(٢) الرازى التفسير الكبير ج ١٩ ص ٣١

(٣) المرجع نفسه ج ١٩ ص ٣١

المقابلة الرابعة :

هى بين من لا يخلق ومن يخلق ومأتاها دعوى الاشتراك فى الخلق والتكوين بالزعم لا بالحقيقة فهل لهذه المعبودات مخلوقات تشبه خلق الله حتى يتسنى القول : بأنها تشارك الله فى الخالقية وبالتالى تشاركه فى الألوهية — وإذا كان هؤلاء المشركون يعلمون — بالضرورة أنها لم يصدر عنها فعل البتة وما ظهر لها خلق ولا أثر — اذ لو كان موجوداً لتعين تمييزه عن غيره ولأمكن مشاهدته ولما كان الامر كذلك كان حكمهم أو سلوكهم إزاءها أو كل ما يفيد بكونها شركاء لله فى الالوهية محض السفه والجهل ويبدو فى هذه المقابلات الروعة والجمال حيث اعتمدت على مسلمات بديهية تعاونت لاثبات : أن كل المسوغات الناتجة عن قصور النظر وقلة التقدير مرفوضة — فإذا كانت المساواة بين الاعمى والبصير وبين الظلمات والنور لا يمكن أن يقرها عاقل فكيف بما فيه مظنة التساوى بين رب السموات ولارض وبين من لا يجلب لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضراً ؟

ومن المقابله التى يستدل بها على قوع البعث وامكانه بحكم اخبار الله بوتوعه .

قوله تعالى : أو لم يروا أن الله الذى خلق السمواب والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحى الموتى ؟ بلى إنه على كل شيء قديراً إن الآية المذكورة تطالب العقول الراشدة باجراء يقابله بين خلق السموات والارض وبين اعادة إحياء الناس بعد موتهم ، وفناء أجسادهم .

وإذا كان خلق السموات والارض قد وقع وحصل دون أن تصاب

---

(١) الاحقاف آية ٣٣

القدرة الفاعلة بارهاق وإذا كان هذا الخلق أعظم من خلق غيرهما بموجب قوله تعالى : « لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس »[1] .

فيكون الخالق هو على احياء الموتى أقدر باعتبار أن الاحياء أصغر وهو أهون باعتباره اعاده يقول الرازى .

فمن كانت قدرته وافيه بهذه الاشياء العظيمة كيف لا تكون وافيه بإعادة الانسان بعد موته لأن القادر على الاقوى الا كمل فبأن يكون قادراً على الاقل الاضعف أولى[2]

هذه نماذج من صور المقابلات التى عرضت فى القرآن كطرق استدلالية .

---

(١) سورة غافر ٥٧
(٢) الرازى التفسير الكبير ﺣ ٢٧ س ٧٩

المبحث الخامس عشر

الاستدلال بالعلة والمعلول

من الطرق البرهانية طريقة الاستدلال بالعلة والمعلول : وتوضيحها أن الإنسان بحكم تتبعه لتركيبات الوجود وما يطرأ فيها من تفاعلات ذاتية وما يحدث بمقتضى تجاورها من تأثرات ومؤثرات وبحكم ما حتمه عليه تواجده من مواجهات لمختلف قضاياه المصيرية ومن مجابهات لبعض مشاكله الحياتية أدرك أن أغلب الظواهر المرتبة هي متولدة عن مهيئات قبلية وأنها — أيضاً — مدعاة لنشوء أخرى بعدية وأن هنـاك علاقات ظاهرة وباطنة مباشرة وغير مباشرة بين مكونات كل تأليف من جهة وبين مجموعة التـآليف المتواجدة فى هذا العالم من جهة ثانية أى أن هناك ترابطاً وحدوياً بين نماذج الوجـــود وما يؤلف مجموعها من بنيوية منسجمة ومتناسقة يقول الدكتور/ محمد البوطى :

عاش الإنسان حياة ألف بها نظام الوسائط والأسباب وأصبح خياله لا يتصور الأمور الا منوطة بمقدماتها ووسائطها[1] .

وما نظام الوسائط وربط الأمور بمقدماتها إلا ذلك التناسق المتواجد بين الحقائق الذى يعبر عنه بمبدأ العلية أو قانون السببية والذى عده التفكير البشرى من الوسائل الموصلة إلى الاهتداء إلى الكثير من الحقائق التى ساعدته على تحصيل المعارف والفنون والإمام الغزالى فى كتابه المقاصد يشير إلى أن مطلب «لم» وهو طلب العلة من المطالب العلمية وهو على وجهتين :

---

(1) د / محمد سعيد رمضان البوطى كبرى اليقينيات الكونية ٣١١ .

أحدهما : سؤال عن علة الوجود كقولك : لم احترق هذا الثوب ؟

فتقول : لأنه وقع فى النار . والآخر سؤال عن : علة الدعوى ، وهو أن تقول : لم قلت ؟ إن الثوب قد وقع فى النار ؟

فتقول : لأنى رأيته ووجدته محترقا[1] .

وخلاصة ما يستفاد من ذلك :

أن المعلول يدل على العلة وأن العلة تدل — أيضاً على المعلول .

وأن العلة توجب المعلول فى حين أن المعلول لا يوجبها[2] .

« إطار قانون السببية » :

من الواضح أن العلة تعرف بأنها ما يحتاج إليه وجود الشىء وأن المعلول هو ذلك الشىء المحتاج[3] .

وهذا يستلزم أن العلة هى المؤثر بذاتها فى المعلول وهذا لا يقف مع الاعتقاد القائل بأن لا سببية حقيقية هنا ولا هناك ولا تأثير هنا ولا هناك إلا للخالق المدبر الحكيم .

ودفعا لهذا اللبس والتعارض لا بد من الوقوف عند بعض المواقف القرآنية .

موقف النصر الموعود :

تعرض القرآن فى كثير من آياته إلى أن الله شاءت حكمته نصرة عباده . فإن حزب الله هم الغالبون[4] .

---

(١) الغزالى مقاصد الفلاسفة ج/ص ١١٨ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٢٠ .

(٣) الإيجى المواقف ١٩٣ . (٤) المائدة ٥٦ .

وإن جندنا لهم الغالبون(١) .

« إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا »(٢) .

« وكان حقاً علينا نصر المؤمنين »(٣) .

« كتب الله لأغلبن أنا ورسلي »(٤) .

هذه النصوص جميعاً تطابق مع القاعدة القرآنية .

« وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم »(٥) .

ولكن كيف تحقق هذا الوعد في بدر ؟ وما هي الإجراءات التي اتخذت ؟

١ ـ إعداد مادي : قد قام به الرسول الكريم فقد جمع الناس وخطب فيهم رغبة في التأكد من استعدادهم إلى الحد الذي دعا المقداد بن عمرو إلى أن يقوم إلى الرسول ويحاول أن يبين له مقدار العزم الذي يمكن أن يبذله المهاجرون قائلا : يا رسول الله امض لما أراك الله فنحن معك والله : لانقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى إذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا ههنا قاعدون . ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون(٦) .

لكن رغم هذا الزاد الضخم الذي تجسم واصل النبي ﷺ خطابه زيادة في التأكد قائلا :

أشيروا على أيها الناس : الأمر الذي جعل سعد بن معاذ يقول : والله لكأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال : أجل .

---

(١) الصافات ١٧٣ . (٢) غافر : ٥١ .

(٣) الروم : ٤٧ . (٤) المجادلة : ٢١ .

(٥) آل عمران : ١٢٦ .

(٦) ابن هشام السيرة النبوية ج ٢ ص ١٨٨ .

فقام ليبين حجم التضحية التى يمكن أن يقدمها الأنصار قائلا : فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول الله لما أردت فنحن معك فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هـــذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً إنا لصبر فى الحرب صدق فى اللقاء لعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله »[1] .

ما اتخذه الرسول من إجراءات وأخذ بالأسباب ليوضح لنا أن النصر لا يتحقق إلا حسب مواصفات ووسائط وعوامل تتمثل فيما يأتى :

أولا : ميول الناس فى تغيير حالهم على وفق قول الله تعالى : « إن الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »[2] .

٢ — الإمكانيات والإعدادات التى يقدمونها على قدر جهدهم وطاقاتهم وفق قول الله تعالى « وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة[3] .

وإشارة على ما للوسائط من دور وتأكيداً على ما للأسباب من أهمية وفعالية يثبت القرآن أن الذى يفر من القتال فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير يقول تعالى : «ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير»[4] .

وأكد الرسول ﷺ فداحة ارتكاب التولى من الزحف حيث عده ضمن السبع الموبقات[5] .

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية جـ ٢ ص ١٨٨ .

(٢) الرعد آية ١١ . (٣) الأنفال ٦٠ . (٤) الأنفال ١٩ .

(٥) رواه البخارى ومسلم عن أبى هريرة .

إجراء ثان كان قد قام به الرسول وهو: أنه بعد قيامه بكل الاحتياطات اللازمة من تنظيم الصفوف ومن تشجيع الجند نراه يعود إلى عريشه ويتوجه إلى القبلة مادا يده إلى ربه فى خشوع يسأل الله العون والنصر : اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد[1] .

اللهم انجز لى ما عدتنى اللهم ائتنى ما وعدتنى اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد فى الأرض[2] .

فهذا العمل الذى سلكه الرسول يثبت يقينا أن الوسائط لا تملك فى حد ذاتها تأثيرا حقيقيا مصداق ذلك قول الله تعالى :

وما النصر إلا من عند الله .

أى [ليس النصر إلا من عند الله دون غيره من الملائكة أو سواهم من الأسباب[3] .

بالرغم من أن هذا النصر قد تحقق بعدة مساهمات منها :

(أ) النعاس : فقد ألقى على المقاتلين النعاس حتى غشيهم تأمينا لهم من الخوف الذى كان يساورهم بسبب الفرق الشاسع بينهم وبين عدوهم فى العدد والعدة .

إذ يغشيكم النعاس أمنة منه[4] .

(ب) المطر يقول ابن القيم : أنزل الله فى تلك الليلة مطراً واحداً فكان على المشركين وابلا شديدا منعهم من التقدم وكان على المسلمين طلا

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ١٩٦ .
(٢) القرطبى الجامع لأحكام القرآن ج٤ ٢٨٠٦ .
(٣) أحمد مصطفى المراغى — التفسير ج ٩ ص ١٧٤
(٤) الأنفال ١١

طهرهم به وأذهب عنهم رجس الشيطان ووطأ به الأرض وصلب الرمل وثبت الاقدام ومهد به المنزل وربط على القلوب[١] .

ويتزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام[٢] .

(ج) إنزال الملائكة : إن إنزال الملائكة على الرأى الذى يرى أنها لم تشارك بقتالها قد كان له التأثير إفى قلوب المؤمنين مما جعلهم يزدادون قوة وثباتا وطبعا كان تأثيرها — استنادا على الرأى الذى يرى أنها قاتلت كما تثبت بعض الروايات أصح وأبين[٣] .

فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين[٤] .

ان تلك المهيآت والمساعدات البشرية والملائكية والطبيعية رغم كونها تعاضدات فى إظهار النصر لا تملك التأثير الحقيق وليس فى إمكانها تحقيق الغلبة وهذا ما ينسجم كليا مع ما عبر به الرسول فى دعائه المتواصل من جهة ويتفق لزوما مع قوله تعالى: «فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى»[٥] .

حتى إنه — يوم حنين — لما حصل فى نفوس المسلمين شىء من الغرور حيث بلغ عددهم إثنى عشر ألفا وحيث بدأ البعض من الصحابة يقول :

لن نغلب — اليوم — عن قلة[٦] .

---

(١) نقلا عن تفسير المراغى ج ٩ ص ١٧٥
(٢) الأنفال ١١
(٣) تفسير المراغى ج ٩ ص ١٧٤
(٤) الأنفال ٩ (٥) الأنفال ١٧
(٦) القرطبى جامع أحكام القرآن ص ٢٩٣٩

لقنهم الله درسا لا ينسى (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين[١] .

ونستطيع أن نخرج من ذلك بما يلى .

أولا — لا مؤثر فى الكون إلا الله :

١ — إن القرآن قد حرص كل الحرص على تأكيد وتوضيح أن كل ما فى الكون من موجودات وظواهر وما يحدث فيها من تغييرات وما يترتب عن تحولاتها من نتائج إنما هى حاصلة بقدرة الله ومشيئته وان لا سببية حقيقية ولا تأثير فى الكون إلا الله وحده .

ثانيا — الوجود خاضع لأسباب جعلية :

إن ما يظهر لنا من تركيبات الوجود من أنها تتحرك وفق نظام العلل والأسباب هى : فى واقع أمرها علل وأسباب جعلية وهى : [أمور جعلها الله بمقتضى المقارنة أسبابا فهى مجعولة جعلا وليست أسبابا ذاتية مؤثرة)[٢] .

ثالثا : لا تناقض بين هذا ولا ذاك :

ليس هناك تناقض بين اعتبار : أن لا سببية حقيقية إلا الله ويبين ما يلاحظ بالمقارنة من أن الوجود مقام على مبدأ السببية حتى إن ابن القيم لما كان بصدد تفسير « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى] .

ذكر أن وجه الإشارة فى الآية : أن الله أقام أسبابا ظاهرة لدفع المشركين وتولى دفعهم وإهلاكهم بأسباب باطنة غير الأسباب التى تظهر للناس][٢] .

---

(١) التوبة ٢٥

(٢) د/ رمضان البوطى كبرى اليقينيات ص ٢٨٨

الخاتمة

القرآن الكريم معجزة عقلية تشريعية تخطت حجب الزمان والمكان لذلك وجب أن يكون القرآن وهو حجته الكبرى فيه من الأدلة والمناهج العقلية ما يقنع الناس جميعا على اختلاف أصنافهم وتباين أفهامهم وتفاوت مداركهم ووجب أن يكون أسلوبه الفكرى والبيانى بحيث لا يعلو على مدارك طائفة ولا ينزل عن مدارك أخرى ولا يرضى طائفة دون أخرى بل يصل إلى مدارك الجميع يجد فيه المثقف بغيته والفيلسوف طلبته والعامة من سواد الشعب غايتهم :

والمستقرى لآيات القرآن الكريم يجده قد استعمل كل الطرق الممكنة والموصلة إما إلى الاقناع والاقتناع بإدراك الحق وقبوله وإما إلى إلزام الخصم وتبكيته ذهنياً سداً لفوهات الشغب واللجاج فى ضمان حرية المعتقد للجميع فكان — فى بعض الأحيان يسلم جدلا وافتراضا لأخذ الخصم بما يقول .

(أم يقولون : افتراه قل : فأتوا بعشر سور مثله مفتريات)[1] .

أى ما دام الأمر كما تزعمون أن القرآن مفترى .

فلماذا لم تجربوا بالإتيان بعشر مفتريات ؟

ولكن كما ذكرنا سابقا — يأخذ الخصم بموجب كلامه كأن تقع صفة فى كلام الغير كناية عن شىء أثبت له حكم فتثبتها لغير ذلك الشىء[2] .

---

(١) سورة هود ١٣

(٢) السيوطى الاتقان ج ٢ ص ١٣٧

يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين[١] .

كأنه قال : هذا صحيح ليخرجن الأعز منها الأذل — ولكن من الأعز ؟ هو الذى يتصف بالعز وقادر على تحقيقه فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

والقرآن قد استعمل وسائل كل ما يمكن أن تتصوره عقولنا من الطرق البرهانية والوسائل البيانيـــة لإثبات الحق لانه يعلو ولا يعلى عليه[٢] .

---

(١) المنافقون ٨

(٢) الجدل د / محمد التومى .

أهم المراجع التى اعتمد عليها الباحث

١ — القرآن الكريم .

٢ — صحيح البخارى .

٣ — صحيح مسلم .

٤ — أعلام الموقعين القيم ، حـ١

٥ — الاتقان للسيوطى .

٦ — آيات الله فى الآفاق ، الشيخ محمد أحمد العدوى .

٧ — البحث العلمى مناهجه وتقنياته د/محمد زيان عمر ط دار الشروق سنة ١٩٨٣ م .

٨ — البحث العلمى ومناهجه د/سعد الدين السيد .

٩ — التفسير الكبير للفخر الرازى حـ١ ، ٢ ، ٣ ، ٨ ، ١١ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٣

١٠— التفسير لابن كثير حـ٣

١١— التفسير ، الشيخ أحمد مصطفى الراعى حـ٣ ، ٢ ، ١٦

١٢— التفسير العلمى ، د/ حنفى أحمد ، التعريفات للجرجانى .

١٣— الجدل فى القرآن ، د/ محمد الشوى .

١٤— الجامع لأحكام القرآن ، القرطبى حـ٢

١٥— السيرة النبوية لابن هشام حـ٢

١٦— شرح العقيدة الطحاوية ، على بن على بن محمد أبى العز .

١٧— الفتح القدير للشوكانى حـ٢ ، ٣ ، ٤

١٨— فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد .

١٩— فى الظلال ، الشيخ سيد قطب .

٢٠— الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكرى .

٢١— قصة الصراع بين منطق اليونان ومنطق المسلمين د/ سعد الدين السيد .

٢٢— المعجزة الكبرى ، الشيخ محمد أبو زهرة .

٢٣— مفتاح دار السعادة لابن القيم الجوزية .

٢٤— المواقف للايجى ح ١

٢٥— مقاصد الفلاسفة للغزالى . ٣٦، مناهج الجـــدل فى القرآن د/ زاهر عوض .

٢٧— الموافقات للشاطبى .

٢٨— معيار العلم فى المنطق للغزالى ،

٢٩— منهج الفرقان فى علوم القرآن د/ محمـــد على سلامة ط شبرا سنة ١٩٣٧ م .

٣٠— مختار الصحاح ، محمد أبى بكر الرازى — دمشق ط ١٩٨٣ م

٣١— المفردات ، الراغب الاصفهانى .

الفهرست

الموضوع	الصفحة
استخدام المثل كدليل على بطلان الوثنية	٤٣
استخدام المثل للتدليل على فساد اغترار الإنسان	٤٤
استخدام المثل كدليل على إثبات البعث	٤٦
المبحث الثالث عشر : طريقة التعميم والتخصيص	٤٩—٥٦
« الرابع عشر : طريقة المقابلة	٥٧—٦٥
« الخامس عشر : الاستدلال بالعلة والمعلول	٦٧—٧٤
الخاتمة	٧٥
المراجع	٧٧
الفهارس	٧٩

رقم الإيداع بدار الكتب

٣٠٩٨ / ١٩٩٢

I. S. B. N. 977 - 00 - 3060 - 0

٢٧ شعبان ١٤١٢ هـ — ٢ مارس ١٩٩٢ م